مكة حرسها الله تعالى/١٤٤٧هـ

الجزء ٤

مذكرة

في سيرة والدي

الشيخ مقبل رحمه الله

للشيخة أم عبد الله بنت الشيخ

مقبل بن هادي الوادعي

حفظها الله تعالى

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فهذا الجزء الرابع من «مذكرة في سيرة والدي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ الله».

وكل جزء يشتمل على (٥٠) فقرة، وكله مما استفدته مباشرة من والدي رَحِمَهُ الله، إلا ما بيَّنته بذكر المرجع.

نفع الله بذلك الإسلام والمسلمين، ورحم الله والدي برحمته الواسعة.

وكان الانتهاء منه ١٤٤٧/١١/٢٩

أم عبد الله بنت الشيخ مقبل الوادعي.

١٥١. استعمال رَحِمَهُ الله الشدة حسب المصلحة

هناك امرأة قامت ببحثٍ في (عورة المرأة في الصلاة).

وأصَرَّت أنَّ عورة المرأة في الصلاة كعورة الرجل من السُّرَّةِ إلى الركبة.

فاشتدَّ إنكارُ والدي عليها، وضرب رَحِمَهُ الله على بعض كتابتها بقلَمِه(١).

١٥٢. الحبوة يوم الجمعة

رأيتُ واحدة تشبه العوام في بداية الطلب-والإمام يخطب يوم الجمعة- تقدمَتْ قليلًا، احتباءً كما يحبو الصبي، فقلت لها بعد الخطبة: النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن الحبوة يوم الجمعة.

ثم تحدثت مع والدي، فقال: ليس هذا هو المراد.

هذا كما يفعل أهل البيضاء: يجلس وينصب ساقيه ثم يَلف عليها ثوبه أو

---

(١) فائدة: عورة المرأة على أقسام:

عورة المرأة في الصلاة.

عورة المرأة بين النساء والمحارم غير الزوج.

عورة المرأة عند الخروج.

غترته[٢].

واستفدت من والدي رحمه الله: أن الحبوة وقت الخطبة يوم الجمعة لا بأس به، والحديث الوارد في النهي عن الاحتباء يوم الجمعة، والإمام يخطب، ضعيف[٣].

فلمَّا علمت المرأة بالفهمِ الخطأ-وقد توفيت-رحمها الله، أغلظت لي القول-وحُقَّ لها-، وقالت بِلُغتِها: قلنا: قد معكِ علم!

---

(٢) الاحتباء: هو أن يضم الإنسان رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره، ويشده عليها، وقد يكون الاحتباء باليدين عوض الثوب، كما في «النهاية».

(٣) حديث النهي عن الاحتباء يوم الجمعة أخرجه أبو داود (١١١٠)، والترمذي (٥١٤) عن معاذ بن أنس، قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحبوة يوم الجمعة والإمام يخطب.

وفيه أبو مرحوم وهو عبد الرحيم بن ميمون، وشيخه سهل بن معاذ بن أنس ضعيفان.

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى عدم الكراهة، كما في «نيل الأوطار» أبواب الجمعة (١٢١٧) نقله عن العراقي.

١٥٣. من أحوال الناس قبل رجوع والدي إلى دماج

لقد كان مما يعتاده أهل بعض البلدان وخاصة بلدنا(دماج)، يقوم أحدهم في المسجد ويقرأ قرآنًا في مكبرات الصوت بدل الأذان الأول، يفتح قرآنًا أو يقوم بالتسبيح قُبيل طلوع الفجر.

قال الصنعاني رَحِمَهُ اللهُ في «سبل السلام»(١/٤٧)عن التثويب: فَهُوَ كَأَلْفَاظِ التَّسْبِيحِ الْأَخِيرِ الَّذِي اعْتَادَهُ النَّاسُ فِي هَذِهِ الْأَعْصَارِ الْمُتَأَخِّرَةِ؛ عِوَضًا عَنْ الْأَذَانِ الْأَوَّلِ(٤).

فأنكره والدي، وحكم عليه بأنه من البدع لم يأذن به الله، قال الله تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ [الشورى: ٢١]، ويقول النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ، فَهُوَ رَدٌّ» رواه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ولقد هداهم الله تَعَالَى واستجابوا لذلك، عدا قلة قليلة في أعلى دماج، وهذا من البدع التي أُميتت وأُزِيْلَتْ، وأُبدلَت بالسنة.

---

(٤) وقال ابن القاسم في «حاشية الروض المربع»(١/٤٤٣): وما سوى التأذين قبل الفجر من التسبيح والنشيد والدعاء مما يفعله بعض المؤذنين، يرفعون أصواتهم به ليس مسنونا عند أحد من العلماء، بل من البدع المكروهة.

فرحم الله والدي وأكرمه.

١٥٤. هل يُخبر المريض بنوعِ مرضِهِ، وخاصة إذا كان شديداً؟

ليس من سياسة المريض إخباره بنوع مرضِهِ إذا كان فتَّاكًا.

وقد ابتُليتِ امرأة عندنا بمرضٍ خطير غالبًا يكون بسببه الموت، وهو مرض الورْمِ، فأخبرها قريبُها بذلك.

فقال والدي: أخطأ حيث أخبرها، قد يزدادُ مرضُها.

قلت: ولهذا من سياسة الأطباء الحُكماء أنهم لا يُخبرون المريض بذلك، وإنما يخبرون قريبه ومن يتولى شؤونه؛ لأن معنويتَه قد تضعُف وتنهار، فيزداد به المرض، ويصير في حالة سيئة أشد وأكثر.

ويدل لذلك قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً، غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ».

رواه أبو داود(٣٨٥٥)عن أسامة بن شريك رضي الله عنه.

ففي هذا الحديث تنفيس على المريض ورفع معنوياته، وأنه ألَّا ييأس من شفائه، مهما كان مرضه، فالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى «لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً..».

ولكن قد تأتي حالة لا يُستطاع إخفاءُ نوع المرض عن المريض.

وَمَرَضُ والدي رَحِمَهُ الله مثال واقعي؛ إذ أنه بعد أن تبينت الفحوصات وكشفت عن مرض وفاته، لم يستطع رفقاؤه في السفر الكتمان عنه، وقالوا: إلا الشيخ لا نستطيع الإخفاء عنه، وأيضًا يختلف المرضى في الاهتمام بمعرفة مرضهم، وقد كان والدي منتظرًا للخبر، ويسأل بحرص شديد، فلم يكن هناك بُدٌّ من إخباره.

وما الذي حصل لوالدي رَحِمَهُ الله بعد إخباره؟

كان موقفه الثبات، والإيمان بالقدر، وعدم اليأس من رحمة الله، والحرص على الدعوة إلى الله، وشرح دعوة أهل السنة-لأن كثيرًا من الناس يجهلون فضلها وأنها دعوة رحمة ولين بسبب المنفِّرين عنها-، وتعليم الناس، والإجابة عن أسئلتهم.

حتى إنني كنت أسأله في الهاتف عن صحته؟

فيقول: الحمد لله، بخير، لا أُحصي ثناءً على الله.

١٥٥. كدتَ تحدثُ فتنةً!

ذاتَ مرةٍ في يوم جمعة سمعنا المؤذنَ عندنا في (دار الحديث بدماج)-أعادَ اللهُ لها عزَّتها وكرامتها وخيرَها وبركتها-رَجَّع في الأذان، ورفع صوته في المرة الأولى.

وهي تقالُ في الشهادتين، المرة الأولى بصوت منخفض، يُسْمِع الناسَ بصوت منخفض.

فسمعنا والدي الشيخ مقبل رحمه الله يخاطبه في الدرس ويقول: كدتَ تحدثُ فتنةً!

وذلك أنَّ يومَ الجمعة يحضر فيه الناس وبعضهم جاهل؛ فقد يُظَنُّ أنه تغيير لدين الله.

١٥٦. التحدث بنعمة الله

ذكرت لوالدي رَحِمَهُ الله أن امرأة تكثِر من التحدث بنعمِ الله عليهم في أمور الدنيا، فيتضجر منها النساء، ويرَين أنها تفتخر عليهن، فلم ينكر ذلك والدي، بل قال: الله عزوجل يقول: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضحى]، ولم يزد على ذلك.

قلت: وكلام والدي يُحمل على ما إذا كان هناك مصلحة في تحدث الشخص بنعمة الله عليه؛ شكرًا لله، كأن يقتدي به غيره.

قال السعدي رَحِمَهُ اللهُ في تفسير هذه الآية (٩٢٨): وهذا يشمل النعم الدينية والدنيوية، ﴿فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ أي: أثن على الله بها، وخصصها بالذكر إن كان هناك مصلحة. وإلا فحدث بنعم الله على الإطلاق؛ فإن التحدث بنعمة الله، داع لشكرها، وموجب لتحبيب القلوب إلى من أنعم بها؛ فإن القلوب مجبولة على محبة المحسن.

١٥٧. من تعاون والدي رَحِمَهُ الله معي

عن جَارٍ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَقُولُ لِخَدِيجَةَ: «أَيْ خَدِيجَةُ، وَاللهِ لَا أَعْبُدُ اللَّاتَ وَالعُزَّى، وَاللهِ لَا أَعْبُدُ أَبَدًا».

قَالَ: فَتَقُولُ خَدِيجَةُ: خَلِّ اللَّاتَ، خَلِّ العُزَّى.

رواه الإمام أحمد رَحِمَهُ الله (٢٩/ ٤٦٧).

هذا الحديث جعلناه في كتابي «الصحيح المسند من الشمائل المحمدية»، تحت ترجمة: عِنَايَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَحِفْظُهُ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ وَمِنْ أُمُورِ الجَاهِلِيَّةِ.

وهذا من فعل والدي-فقد كانت يده في يدي في أغلب الأحوال-أثناء ترتيب مواضيع هذا الكتاب، وهو الذي وضعه في هذا الموضع تحت هذا الباب. رحمه الله بمنِّهِ وكرمه. آمين.

قلت: وقال السندي رَحِمَهُ اللهُ في «حاشية مسند أحمد»(٤/ ٢٨٤): «يَقُولُ لِخَدِيجَةَ» قبل النبوة أو بعدها، والأول أقرب.

«خَلِّ اللَّاتَ» تقريرًا له على ما قال.

(والأول أقرب) أي: أنه قبل النبوة، وصنيعنا هنا يدل على ذلك.

فرحم الله والدي على فهمه الدقيق للأدلة والسيرة.

١٥٨. مَنْ أراد تجربةَ قلم

كان لدينا قلم جديد من أقلام والدي، من الأقلام القابلة لسحب المداد، فقمنا بتعبئتِه من العلبة الزجاجية.

ثم كتب به رَحِمَهُ الله؛ للتجربة، بحكمة مؤثِّرة:

تجربةُ قلمٍ، ولا أفلح من ظَلَمَ(٥).

١٥٩. عدم نسيان الجميل

مات ابن عم والدي-وهو رجل كبير السن اسمه صالح بن أحمد عام ١٤١٦، وكان محسنًا إلى الدعوة وواقفًا معها-في حين كان

(٥) وقد علَّقت أم شيماء -إحدى أخواتي في الله على هذه الرسالة- بما يلي:

رحمه الله، حتى في تجربة قلمٍ قال خيرًا.

الوالد وحيدًا في بلدته دماج ليس معه إلا ربه سُبحَانَهُ وَتَعَالَى-، وكان يستدين منه والدي إذا احتاج شيئًا للدعوة حتى يُيسر الله له، فقال لي: اذهبي إلى أهله وواسيهم بالحث على الصبر، واذكري لهم بعض محاسنه، وقولي لهم: إن شاء الله إنه إلى خير. فتكلمت مع أهله وزوجته بذلك، فاستَبشروا لميتهم وفرحوا.

١٦٠. قصة لرجل تشبَّع بما لم يُعْطَ

كان هناك رجل مصري جاء زائرًا، فذكر أنه يحفظ القرآن والأمهات الست.

فيا لله كيف أكرمه الوالد! إن دخل البيت يدخله معه في أغلب الأوقات غرفة الضيوف، ويقدم له ما يستطيع من الأكل والشراب، ويحرص على راحته، ويأمره في الدرس أن يقرأ شيئًا من القرآن ببعض القراءات الأخرى، غير قراءة حفص عن عاصم.

ثم بعد ذلك اختبره بعض الطلاب في المحفوظات التي يدَّعيها، فما استطاع أن يجيب.

وقيل له أيضًا: أنت متى تراجع؟ فقال: أراجع في

وقت لا تعلمونه، ثم افتُضح واتَّضح أنه غير صادق!

من تزيا بغير ما هو فيه فضحته شواهد الامتحان

١٦١. من اختبار والدي لطلابه

قد يتحدث والدي رَحِمَهُ الله عن الفاءات في اللغة العربية، ثم يسأل:

ما هي الفاء في قول الشاعر:

ومن تزيَّا بغير ما هو فيه... فضحته شواهد الامتحان

فيغلط من يغلط من الطلاب، ثم يضحك ويفيد بأنها من أصل الكلمة.

١٦٢. من ضحكه رَحِمَهُ الله

عَنْ قَيْسِ بنِ عَبَّادٍ قَالَ: بَيْنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ فِي الصَّفِّ الْمُقَدَّمِ فَجَبَذَنِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي جَبْذَةً فَنَحَّانِي، وَقَامَ مَقَامِي فَوَاللَّهِ مَا عَقَلْتُ صَلَاتِي، فَلَمَّا انْصَرَفَ فَإِذَا هُوَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ فَقَالَ: «يَا فَتَى، لَا يَسُؤْكَ اللَّهُ، إِنَّ هَذَا عَهْدٌ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِلَيْنَا أَنْ نَلِيَهُ». ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَقَالَ: هَلَكَ أَهْلُ الْعُقَدِ(٦) وَرَبِّ الْكَعْبَةِ-ثَلَاثًا- ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا عَلَيْهِمْ آسَى، وَلَكِنْ آسَى عَلَى مَنْ أَضَلُّوا.

قُلْتُ: يَا أَبَا يَعْقُوبَ-أحد رواة السند-مَا يَعْنِي بِأَهْلِ الْعُقَدِ؟ قَالَ: الْأُمَرَاءُ.

رواه النسائي (٨٠٨).

هذا الحديث مرَّ بنا في درس «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين» الحديث الثامن فيه.

وعند قراءة قولِ الفتى: «فَجَبَذَنِي رَجُلٌ مِنْ خَلْفِي جَبْذَةً فَنَحَّانِي، وَقَامَ مَقَامِي فَوَاللَّهِ مَا عَقَلْتُ صَلَاتِي».

ضحِكَ والدي رحمه الله؛ تعجُّبًا مِنْ حِرْصِ الفتى على الفضل، وما أصابه من الحُزْنِ وتشوُّش الفِكْر، حتى لم يدرِ كيف كانت صلاتُه؟! حيثُ نحَّاه أُبَيٌّ رضي الله عنه من الصفِّ الأوَّل؛ وذلك لأنه ليسَ مِنْ أولي الأحلامِ والنهى.

وقد أخبره أُبَيٌّ بعد الصلاة أنَّ هَذَا عَهْدٌ، أي: وصية مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

(٦) في آخر الحديث تفسيره: أنهم الأمراء.

وفي «مرعاة المفاتيح»(٤/٤٤) للمباركفوري: بضم العين وفتح القاف، يعني: الأمراء، أي: لأن عليهم رعاية أمور المسلمين دنياهم وأخراهم، حتى رعاية صفوفهم في الصلاة، ورعاية الموقف فيها.

وَسَلَّمَ أن يليه أهلُ الفضل، وفيه أن الدليل هو الفيصل في المسائل، وأنه يزيل ما في النفوس من كراهة الشيء.

١٦٣. هل الكثرة غير معتبر بها مطلقًا؟

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الْأُمَمُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ النَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلُ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّجُلَانِ، وَالنَّبِيُّ مَعَهُ الرَّهْطُ، وَالنَّبِيُّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، وَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَرَجَوْتُ أَنْ تَكُونَ أُمَّتِي، فَقِيلَ: هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ، ثُمَّ قِيلَ لِي: انْظُرْ. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ لِي: انْظُرْ هَكَذَا وَهَكَذَا. فَرَأَيْتُ سَوَادًا كَثِيرًا سَدَّ الْأُفُقَ، فَقِيلَ: هَؤُلَاءِ أُمَّتُكَ، وَمَعَ هَؤُلَاءِ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ» رواه البخاري (٥٧٥٢)، ومسلم (٢١٦).

علق الشيخ صالح الفوزان في «شرح فتح المجيد»(١/ ٥٧٠) على أول هذا الحديث، وقال:

كل أمة تحشر وحدها مع نبيها، سواء أطاعوه أو خالفوه، يحشرون مع أنبيائهم، يأتون هم وأنبياؤهم،

فمنهم من لا يأتي بأحد؛ لأنه لم يستجب له أحد، ومنهم من يأتي بالرجل بالرجلين، ومنهم من يأتي بالرهط، فهذا دليل على أن الكثرة لا حجة فيها، إذا كانت الكثرة على الباطل. اهـ.

وهذه فائدة تستفاد من كلام الشيخ صالح الفوزان حفظه الله على الكثرة التي لا يحتج بها، الكثرة على الباطل، أما إذا كانت الكثرة على حق فهذا يستدل به على صحة الطريق والسلوك.

وأذكر أن والدي رَحِمَهُ اللهُ كان يستدل بهذا على صحة دعوة أهل السنة في اليمن؛ لكثرة المستجيبين، وقد سمعته مرة يناقش بعض المتحزبين من طلابه قديمًا، ويقول لهم: وأنتم من معكم على هذا؟!

أي: ليس معكم أحد.

وأحد الملبسين الحزبيين استدل بهذا الحديث، يعترض به على والدي، وهذه شبهة، وفي كلام والدي والشيخ الفوزان ما يكشفها.

وقال الشيخ صالح الفوزان في «شرح فتح المجيد»(١/ ٥٧١): ثمرة هذا العلم، وهو عدم الاغترار بالكثرة، فالأنبياء منهم من لا يستجب له أحد، ومنهم من استجاب له عدد قليل،

والأكثر على خلافه، فلا يحتج بالكثرة إلا إذا كانت على حق.

١٦٤. لا يضر

جلس والدي رَحِمَهُ الله مع صحفي، وفي نهاية الجلسة، قال الصحفي لوالدي: أنا مختلف معك تمامًا.

فقال والدي: خيرًا إن شاء الله، لا يضر.

علمتُ بالجلسة ولم أشهدها، ولكني سمعت الشريط بعد ذلك، وكان في ضمنه هذه الكلمة التي نستفيد منها:

حِلْم والدي رَحِمَهُ الله.

عدم المبالاة بالمبطلين، رضوا أو غضِبوا.

والذي ذكَّرني بنشر هذه المقالة، أنني حين ناقشت عبهلية أقيالية بنقاش متواضع وبيان مَنهم، وصلتني رسالة-وللأسف ممن يدعي العلم والسنة-: أختلف مع هذا التشخيص جملة وتفصيلًا.

فكان ردي: لا يضر، وذكرتُ في الرسالة جواب والدي للصحفي حينما قال له الصحفي: أنا أختلف معك تمامًا، فقال والدي: لا يضر.

١٦٥. حضور والدي طلاق امرأة

كان هناك امرأة من قريتنا وأقربائِنا تزوجت إلى مكانٍ نائي.

ولم يُقدَّرْ لها البقاء مع زوجها، فجاء مجموعة من أقرباء الزوج وأبوه، دون الزوج مع أنه شاب كبير، وحضر والدي المجلس.

وفارق المرأةَ أبو الزوج نيابة عن ولده، ثم انصرفوا.

وقد كان والدي حفيًّا بتلك المرأة؛ لأنها تحفظ القرآن، وطالبة علم مجتهدة(٧).

---

(٧) وقد استدل ابن القيم رَحِمَهُ الله في «زاد المعاد»(٥/٢٥٤) على أن الطلاق بيد الزوج لا بيد غيره بما يلي:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ} [الأحزاب: ٤٩].

وَقَالَ: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ} [البقرة: ٢٣١].

وقد أفادنا والدي رَحِمَهُ الله عن حديث:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ سَيِّدِي زَوَّجَنِي أَمَتَهُ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنِي وَبَيْنَهَا، قَالَ: فَصَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا بَالُ أَحَدِكُمْ يُزَوِّجُ عَبْدَهُ أَمَتَهُ، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِنَّمَا الطَّلَاقُ لِمَنْ أَخَذَ بِالسَّاقِ» رواه ابن ماجه(٢٠٨١).

بأنه ضعيف.

قال: والشيخ الألباني يحسنه. اهـ.

والحديث فيه عند ابن ماجه ابن لهيعة.

قال: فَجَعَلَ الطَّلَاقَ لِمَنْ نَكَحَ؛ لِأَنَّ لَهُ الْإِمْسَاكَ، وَهُوَ الرَّجْعَةُ.

ثم ذكر حديث ابن عباس المذكور، ثم أيد معناه، وقال:

وَقَضَاءُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ، وَحَدِيثُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا الْمُتَقَدِّمُ، وَإِنْ كَانَ فِي إِسْنَادِهِ مَا فِيهِ، فَالْقُرْآنُ يُعَضِّدُهُ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ النَّاسِ. اهـ.

ولا شك أن الطلاق خالص حق الزوج، لكنه إذا وكَّل غيره في الطلاق، فالنيابة جائزة فيه.

وينظر الكلام عليه في «نصب الراية»(٨/١٣٩)، و«الإرواء» (٧/٢٠٤١).

١٦٦. هل تقول المرأة: أنا بخير أو بخيرة، بزيادة تاء لمن سأل عن حالِها؟

سمع والدي إحدانا قالت: أنا بخيرة، الحمد لله.

فصحَّحَ لها العبارة: بخير؛ ما فيه تاء.

قلت: رحم الله والدي، حتى الأخطاء النحوية يصححها لأهله!

والسبب أن (خير) اسم تفضيل أصله: أخير، وكذا شر مقابل خير أصله: أشر، وحُذِفت الألف فيهما؛ تخفيفًا.

وهو مجرد من أل والإضافة، فيلزم فيه الإفراد والتذكير. قال ابن مالك رَحِمَهُ الله:

وَإِنْ لِمَنْكُورٍ يُضَفْ أَوْ جُرِّدَا... أُلْزِمَ تَذْكِيرًا وَأَنْ يُوَحَّدَا

أي: جرد من «أل» والإضافة، فهنا يلزم التذكير والإفراد، ولا يؤنث، ولا يجمع أو يثنى.

١٦٧. تقول إحدى أخواتي في الله: اذكري لي شيئًا من تربية والدكم الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ الله لكم وأنتم صغار؟

الجواب:

كان يربينا على الدليل من الصِّغَر، فما يقول: افعلي كذا، من غير أن يذكر الدليل. فمثلًا في باب التشبه بالكفار ينهى، ويقول: الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ».

وفي هذا غرس حب الدليل في القلب من الصِّغَرِ، فيتنبه المربون لأولادهم لذلك.

-كان يسلك التشجيع في أغلب الأحوال، فيثني على إحدانا إذا رأى أدبها، أو إذا حفظت، وكتبت.

وهذه طريقة نافعة في تحبيب الخير والعلم إلى الصغير بحسب المصلحة، حتى إني مرة كتبت فائدة، فقال: فائدة تُشد لها الرحال. وبعضنا قد لا يعبأ بها، يراها زهيدة.

-الدعاء، فكان يدعو لنا إذا دخل إلينا، وإذا خدمناه، ويقول: جزاك الله خيرا، جزاك الله الجنة، بيَّض الله وجهك.

وأنكرتُ مرةً دعاء بيض الله وجهك، لأنا نعرفه يقوله العوام.

فقال: وربي دعاءٌ طيب، الله يقول: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

-يأمرنا بلزوم البيت وعدم مخالطة المجتمع، ويقول: المجتمع لا يساعد على الخير.

-أهم شيء عند والدي العلم النافع وحفظ القرآن؛ فلهذا كان يقوم بتعليمنا السورة تلو السورة، ويلقِّننا تلقينًا، وأعطانا المصحف المرتل للشيخ محمود الحصري، فكنا أيضًا نتابع عليه.

وكان يعلِّمنا أيضًا بعضُ نساء طلاب والدي من مصر والسودان القراءة والكتابة، والقرآن وحفظ أحاديث من «رياض الصالحين»، حتى إن والدي كان يدفع لهنَّ أجرة على ذلك.

-تربيته لنا على الحياء والأدب، حتى إنه إذا سمع صوتًا رفيعًا أو ما لا يليق، يستحيي هو بنفسِه، ويقول: يا عيباه.

هذا، ونحن-ولله الحمد-رزقَنا ربي هيبةَ والدي ومحبتَهُ، وهذا يؤثِّرُ في استقامة الصغير، ويعينه على اندفاعه للخير.

١٦٨. من التطبيق العملي في دار الحديث بدماج

عن زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ-أنه قال لمروان بن الحكم-: «مَا لَكَ تَقْرَأُ فِي المَغْرِبِ بِقِصَارٍ، وَقَدْ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْرَأُ بِطُولَى الطُّولَيَيْنِ» أخرجه البخاري (٧٦٤).

أي: أنه فرَّق قراءة سورة الأعراف في ركعتين، ومن فضل الله هذه السنة طُبِّقت في دار الحديث بدماج، وكانت الطريقة:

أنه أقيمت الصلاة مباشرة بعد الأذان؛ من أجل أن يتسع الوقت، وأيضًا كانت القراءة حدرًا بإمامة الشيخ أحمد الوصابي رَحِمَهُ اللهُ، وقد رأيتُ والدي نهض للخروج يضحكُ مبتسمًا، شعر بذلك؛ بسبب الإقامة مباشرة بعد الأذان.

١٦٩. ومن التطبيق العملي أيضًا في دار الحديث بدماج

فيه واحد زار دار الحديث في زمن والدي رَحِمَهُ اللهُ، وسمعناه تكلم بكلمة؛ تعبيرًا عما رآه من التطبيق في دار الحديث، مما أثلج صدره.

وذكر منها: جلسة الاستراحة، وجد الصفوف كلها تجلس جلسة خفيفة- وهي جلسة الاستراحة- عند القيام للركعة الثانية والرابعة.

١٧٠. من فوائد ملازمة المعلم

سمعت والدي الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رَحِمَهُ الله يقول: الذي يلازمني يعرف بأي شيء أستدل به؟

ويعرف ماذا أقول؟

قلت: أي: إذا وُجدت البركة.

مع أن أهل العلم بحور في العلم، ولنتأمل ما رواه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١١٥) من طريق عبدالرزاق، يقول: قال لي ابن المبارك: كنت أقعد إلى سفيان الثوري فيحدث فأقول:

ما بقي من علمه شيء إلا وقد سمعته، ثم أقصد عنده مجلسًا آخر، فيحدث فأقول: ما سمعت من علمه شيئًا.

١٧١. الشيخوخة

رحم الله والدي وغفر له سمعته يقول عن مرحلة الشيخوخة:

الشيخوخة متعبة(٨).

١٧٢. الأطباء

لقد كان والدي رَحِمَهُ الله حفيًّا بالأطباء خاصة الطيبين منهم.

وكان من الذين يزورونه الدكتوران: عماد، وأبو النور.

---

(٨) أقول: وإذا كان كذلك فكيف بما وراء الشيخوخة؟!

وهو ما بعد السبعين، الشيخوخة تبدأ من بعد خمسين عامًا، وتنتهي بسبعين عامًا حسب ما ذكر ابن الجوزي في «مواسم العمر»(٣٧). فخذ من قوتك لضعفك.

اللّٰهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وعافيتنا، وارزقنا حسن الخاتمة.

وقد كان يستعد لمقابلتهم-إذا زاروه من (صعدة)-، ويجلس معهم، ويقوم بإكرامهم، والتحدث معهم خصوصًا في مجال الطب.

وحدثنا ذات مرة، وقال: بعض إخواننا التقوا ببعض الأطباء في صنعاء، فأشعروهم أنهم لا شيء؛ لتخصصهم في الطب وليسوا طلبة علم. وأنكر رَحِمَهُ الله صنيعهم(٩).

---

(٩)قلت: فالطب فَنٌّ يُحتاج له، لا سيما الطب النبوي وطب الأعشاب؛ لأنها آمنة لمن أحسن استخدامها، ويشمل الجميع قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَدَاوَوْا، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الهَرَمُ» رواه أبو داود (٣٨٥٥) عن أسامة بن شريك. وهذا لا يكون إلا بعلماء طب.

تعليق جميل لأختنا أم شيماء-وفقها الله-على هذا بما يلي:

أبو أولادي طبيب سلفي، وحقًّا إنها نعمة أن يكون الطبيب سلفي العقيدة والمنهج؛ ففيه خير كثير.

حتى الشيخ ربيع رحمه الله يوم زاره-وكانو ينتظرونه خارج البيت-، فلما خرج الشيخ رحمه الله، وقالوا له: إنه طبيب جاء لزيارته، فقدَّمه وطلب منه أن يركب معه في السيارة، علمًا أنه كان أول مرة يزوره، وكان الكثير في انتظار الشيخ رحمه الله، ولكن قَدَّمه على البقية، رحمه الله رحمة واسعة.

١٧٣. سؤال قُدِّمَ كيف كان حنان الشيخ مقبل رَحِمَهُ الله بكم؟

كان رَحِمَهُ الله من خير الآباء لأولادهم حنانًا وشفقة وعطفًا:

فكان يجيبنا إذا ناديناه، لبَّيْه، أو نادانا قد يقول: يا أمي؛ من باب التحنُّنِ والشفقة.

كان كثيرَ الدعاء لنا، وكان يدعو إذا خدمناه، وقدَّمنا له شيئًا. ودعوة الوالدين مستجابة.

إظهاره لنا أنه يحبنا، حتى إنه مرة قال لي-وقد تصرفتُ بشيء...-: لولا أني أحبك لضربتُكِ.

وكان أعظم حنان تحبيب العلم إلينا بالتشجيع بالكلام لا بالمال، وفرحه أن نكون طالبات علم، وجلوسه لتعليمِنَا، وصبره علينا، ولا يتضجر أبدًا!

وقد يعطينا أحيانًا بعضَ المال من غير ترَفٍ.

وأما الحزم والشدة، فهذا-وهو نادر-قد يستعمله حسب الحاجة والمصلحة، ومجرَّد كلمة أو إشارة يظهر منها الغضب نتألَّم ولا نعود.

ومن فضل الله نحن رزقنا ربي حُبَّ والدي حُبًّا عظيمًا، وهذا يجعلُنا نحرص على عدم مخالفة نهيه، وتلبية رغباتِهِ وأوامرِهِ، وصدق القائل: إن المحب لمن يحب مطيع.

وكان يرفِّهُ علينا-ونحن صغار-أحيانًا، فيقود السيارة ونخرج معه إلى الصحراء، وكان يأخذ بعض الكتب معه؛ فيطالع فيها ويُدَوِّن تحت بعض الأشجار.

وأحيانًا كان يذهبُ معه رجل يقالُ له: أبو العباس الزبيدي ومعه زوجته، فإذا نزلنا نذهب جهةً أخرى(١٠).

(١٠)وقد تقدم قبل قليل سؤال يؤدي هذا المعنى، كما في فقرة(١٦٧).

١٧٤. والدي يطمئِنُنَا

قال والدي رحمه الله-عند أن كنا في درس «تدريب الراوي» للسيوطي رَحِمَهُ الله، وكان في أول الكتاب بعض العبارات القوية-مُطَمْئِنًا لنا: قد يكون الكتاب قويًّا في أوله، ثم يكون سهلًا بعد ذلك(١١).

---

(١١) وهذا من مزايا التلقي على يد معلِّمٍ ناصحٍ مُربِّي، تثبيت الطالب وبِشارته باليسر والفهم؛ عملًا بأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ لمعاذ وأبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلا تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلا تَخْتَلِفَا» رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

والطالب قد ينفر من الكتاب ويُحرم كنوزُه وفوائدُه إذا كان يأخذ العلم وحده من غير تلقي؛ لأنه يرى أنه يقرأ ويمرُّ به إشكالات.

وقد وجدت بنحو عبارة والدي السابق ذكرُها للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُما الله في «شرح حلية طالب العلم» (٢٨٣) يقول: إذا قرأتَ الكتاب أول ما تقرأ لا سيما من الكتب العلمية المملوءة علْمًا، تجد أنك تمر بك العبارات تحتاج إلى تأمل وتفكير في معناها؛ لأنك لم تألَفها، فإذا كرَّرَت هذا الكتاب أَلِفته، وانظر مثلًا إلى كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، الإنسان الذي لا يتمرَّن على كتبه يصعب أن يفهمَها لأول مرة، لكن إذا تمرَّن عرفها بيُسر وسهولة.

١٧٥. الميزان في معرفة حال الناس

امرأة تعزية أرسلت إلى والدي رَحِمَهُ اللهُ رسالةً تلوَ رسالة، تجادل عن عبدالمجيد الزنداني-الذي هو من كبار الإخوان المسلمين-، فقال لي والدي رَحِمَهُ اللهُ: اكتبي لها: اعرفي الحق؛ لتعرفي أهله. اهـ.

فنعم، ما يحصل من لبس واشتباه سببه الجهل، فإذا عرفنا الحق تميز لنا الحق من الباطل، واتضح لنا المحق من المبطل، والرجال يُعرفون بالحق، ولا يُعرف الحق بالرجال.

١٧٦. من سماحتِهِ رَحِمَهُ الله بالعلم

سمعت والدي رَحِمَهُ الله يقول: والله، يا أبنائي لو كان العلم يسقى في كأس لأسقيتكموه، ولكن لا يتحصَّل عليه إلا بحَكِّ الركب على الحصير.

وقد قال يحيى بن أبي كثير لولده عبد الله: لا يستطاع العلم براحة الجسم.

أخرجه مسلم في كِتَاب الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، إثر حديث رقم (٦١٢).

أقول: رحم الله أهل العلم الناصحين! وقد جاء هذا النص عن بعض أئمتِنا، منهم:

عن الرَّبِيع بن سليمان المرادي: قَالَ لِي الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُطْعِمَكَ الْعِلْمَ لَأَطْعَمْتُكَهُ. رواه البيهقي في «المدخل إلى السنن الكبرى» (٣٧٧).

عن هشام بن أبي عبد الله الدستوائي -أنه قال لطلابه-: وَدِدْتُ أَنَّ الْحَدِيثَ مَاءً فَأَسْقِيكُمُوهُ[١٢]. رواه الرامهرمزي في «المحدث الفاصل» (١٨٤) بتحقيقي.

(١٢) وهذا يدل على كَرَمٍ بالغ في بذل العلم للطلاب، فلو يستطيع أحدهم أن يُسقيه الطالب من غير كُلْفَةٍ ولا مشقة لفَعَل، ولكن أبى الله تَعَالَى -وله الحكمة البالغة- أن يُنال هذا العلم النافع، إلا بجِدٍّ وحرص ومثابرة وعملٍ دؤوب.

١٧٧. هيبة الناس للشيخ الألباني رَحِمَهُ الله

لمَّا توفي الشيخُ الألباني رحمه الله قال لي والدي الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله متأسفًا: سينفتح الناس في الكتابة. الناس يهابون الشيخَ الألبانيَّ، كانوا يهابونه أن يردَّ عليهم.

١٧٨. من عتاب رَحِمَهُ الله لبعض طلابه

خلَّطَ بعض المجيبين في الإجابة.

فسمعت والدي رَحِمَهُ الله يقول: كيف إذا صرتَ مؤلفًا محققًا؟!

قال أحد الجريئين منهم: سنرجع إن شاء الله إلى الأصول، ما سنكتب من حفظنا.

١٧٩. من تواضع والدي رَحِمَهُ الله

مرةً تكلم والدي رَحِمَهُ الله على الظاهرية، فسمعت ولدًا صغيرًا -لعل وليَّهُ لقَّنه- قال للوالد: وأنت ظاهري!

فضحك الوالد، وذكر أن الأخذ بالظاهر مريح، لكننا لا نرتضي ظاهريةَ ابن حزم رَحِمَهُ الله في الجمود؛ فهي ظاهرية مرفوضة لا نقبلها!

وكتبت عن والدي رَحِمَهُ الله ما يلي: أبو حيان الأندلسي صاحب «البحر المحيط» معاصر لابن تيمية، ولما قدم ابن تيمية إلى مصر أنشأ قصيدة في ابن تيمية، وبعد ذلك حصلت بينه وبينه مناقشة في مسألة، فقال أبو حيان: قد قال هذا سيبويه، فقال ابن تيمية: في «كتاب سيبويه» ثمانون مسألة أخطأ فيها سيبويه، فأنشأ أبو حيان قصيدة يذمه.

وتارة يذمه في كتابه «البحر المحيط».

وكان أبو حيان ظاهريًّا، وقال: من عرف المذهب الظاهري لا يستطيع أحد أن يتركه، فقال الشوكاني: لأنه حق(١٣).

---

(١٣) قال الشوكاني في «البدر الطالع»(٢/٢٨٨) ترجمة أبي حيان: الإِمَام الْكَبِير فِي الْعَرَبيَّة وَالتَّفْسِير... إلى أن قال: وَكَانَ ظاهريًّا، وَبعد ذَلِك انْتَمَى إِلَى الشافعي، وَكَانَ أَبُو الْبَقَاء يَقُول: إنه لم يزل ظاهريا، قَالَ ابْن حجر: كَانَ أَبُو حَيَّان يَقُول: محَال أَن يرجع عَن مَذْهَب الظَّاهِر من علق بذهنه. انْتهى.

وَلَقَد صدق فِي مقاله؛ فمذهب الظَّاهِر هُوَ أول الْفِكر آخر الْعَمَل عِنْد من مُنح الْإِنْصَاف، وَلم يَرد على فطرته مَا يغيرها عَن أَصْلهَا، وَلَيْسَ وَهُوَ مَذْهَب دَاوُد الظاهري وَأَتْبَاعه فَقَط، بل هُوَ مَذْهَب أكَابِر الْعلمَاء المتقيدين بنصوص الشَّرْع

لكن لا كجمود أبي محمدٍ ابن حزم.

١٨٠. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

رحم الله والدي وغفر له لقد كان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر أينما كان ومع كلِّ من جالس:

من عصر الصَّحَابَة إِلَى الْآن، وَدَاوُد وَاحِد مِنْهُم، وَإِنَّمَا اشْتهر عَنهُ الجمود فِي مسَائِل وقف فِيهَا على الظَّاهِر حَيْثُ لَا ينبغي الْوُقُوف، وأهمل من أَنْوَاع الْقيَاس مَالا يَنْبَغِي لمنصف إهماله.

وَبِالْجُمْلَةِ فمذهب الظَّاهِر وَهُوَ الْعَمَل بِظَاهِر الْكتاب وَالسّنة بِجَمِيعِ الدلالات، وَطرح التعويل على مَحْض الرأي الذي لَا يرجع إِلَيْهِمَا بِوَجْه من وُجُوه الدّلَالَة، وَأَنت إذا أمعنت النّظر فِي مقالات أَكَابِر الْمُجْتَهدين المشتغلين بالأدلة وَجدتهَا من مَذْهَب الظَّاهِر بِعَيْنِه، بل إِذا رُزقت الإنصاف وَعرفت الْعُلُوم الاجتهادية كَمَا ينبغي وَنظرت فِي عُلُوم الْكتاب وَالسّنة حق النظر كنت ظاهريًّا، أَي: عَاملا بِظَاهِر الشَّرْع مَنْسُوبا إِلَيْهِ لَا إِلَى دَاوُد الظاهري؛ فَإِن نسبتك ونسبته إِلَى الظَّاهِر متفقة، وَهَذِه النِّسْبَة هي مُسَاوِيَة للنسبة إِلَى الْإِيمَان وَالْإِسْلَام وَإِلَى خَاتم الرُّسُل عَلَيْهِ أفضل الصَّلَوَات التَّسْلِيم.

فمع كبار السِّن والعوام، من تكلم بشيء أو تصرف بما يخالف الشرع ينكر عليه؛ لأن دعوة أهل السنة شمولية وليست خاصة بالمثقفين، فمثلًا: إحدى النساء عامية كان عندها شكوى فتكلمت مع والدي، وقالت: الله ومعه، فأنكر عليها، وقال: الله ليس معه أحد، يقول الله تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ [الجن: ١٨].

ومع الصغير إذا رأى بذاءة منه أو رأى مخالفة منه ينكر عليه، هذا كان ديدنه رَحِمَهُ اللهُ، فمثلًا: إذا رأى اللباس طويلًا مسبلًا، يقول: ثوبك مسبِل، فحتى الصغار يُربَّون على آداب الإسلام من صغرهم، وما كنا في دماج نُقَمِّصُ أولادنا أقمصة طويلة، ومن فضل الله ذلك الجو يعين على التمسك بالسنة، ونسأل الله الثبات أينما كنا.

ومع طلابه ينكر عليهم، وجلوسه معهم جلوس علم وموعظة وتربية، شأن الربَّانيِّين، وعلى مستوى الأخطاء وإن لم تكن داخلة في المنكر. فمثلًا: كان ينكر كثرة السفريات لطالب العلم؛ لأنها تضيع عليه وقته إلا لحاجة، وربما قال لبعض طلبة العلم: ما أحوجك أن تربط في سارية من سواري هذا المسجد! يقول له هذا؛ من أجل أن يتفرغ لطلب العلم.

ومع أهله لقد كنَّا نستقبله عند دخوله البيت فيُتحفُنا بالعلم والمذاكرة والنصيحة، حتى الأشياء المستحبة يأمرنا بها، فمثلًا: مرة كانت يدي اليمنى مشغولة بشيء فتناولت باليسار، فقال: باليمين. وهذا الشيء قد نخطئ فيه إذا كانت اليد اليمنى مشغولة فربما نتناول باليسار.

ومع مشايخه في بعض الاختلافات كان يناصحهم، من أمثلة ذلك:

لما أفتى الشيخ الألباني بجواز الانتخابات في الجزائر، فذهب والدي من دماج إلى صعدة بنحو ربع ساعة إلى عشرين دقيقة؛ إذ الطرق ترابية ليست مزفلتة، فذهب لأنه لم يكن هناك في دماج هواتف، واتصل بالشيخ الألباني، وقال له: يا شيخ لماذا أبحتَ لأهل الجزائر الانتخابات؟

فقال له الشيخ الألباني رحمه الله: أنا ما أبحتُهَا، ولكن من باب ارتكاب أخف الضررين. فدار كلام بينهما، وكان والدي يقول: ننظر هل حصل في الجزائر أخف الضررين أم حصل أعظم الضررين؟!

ووالدي ينكر الانتخابات، وله بعض الأشرطة في ذلك، فالانتخابات جاءتنا من أعداء الإسلام.

ومع أهل البدع ينكر عليهم، سواء كانوا رافضة أو صوفية أو إخوانية أو تبليغية أو خوارج...، وكتبه وأشرطته طافحة بذلك.

ومع الأمراء ينكر عليهم الاختلاط، والانتخابات، والديمقراطية، واستيراد قوانين وضعية...، مع تحذيره من الخروج على الحكام. وقد كانوا يجلونه، حتى إنه ذكر في «الباعث على شرح الحوادث»(٦٧)كلامًا، وقال: أرسل إلينا الرئيس علي عبدالله صالح مع الشيخ صالح هندي دغسان وذكر لي كلامًا.

فقلت له: قل له: إذا كان يرى في بقائي في اليمن فتنة، فأنا مستعد أن آخذ مكتبتي وأرحل عن اليمن، فليس لي في اليمن إلا المكتبة.

فلما رجع إليه الرسول قال الرئيس: أهذا كلام مقبل؟ قال: نعم.

فقال: قل له: يعمل الذي يريد.

١٨١. الهِمَّة العالية

سمعت والدي رَحِمَهُ الله يقول:

إن استطعتَ أن تكون رؤياك في العلم فافعل.

قلت: هذا لا يتأتَّى إلا لأولي العزيمة:

نائم وهو مع العلم، يحفظ، يبحث ويطالِع، يراجع، أو في درسٍ، أو يصلي، والبركة من الله سبحانه(١٤).

١٨٢. معنى (إذَا) للجزم، و(إن) لغير الجزم:

أهل أصول الفقه يقولون هذا.

والمراد أن (إذا) للجزم: أي: محقق، مثل: (إذا جاء زيد فأكرمه).

و(إن) لغير الجزم، مثل: (إن جاء زيد فأكرمه).

فهذا يجيء، وقد لا يجيء(١٥).

---

(١٤) تعليق لأختنا ذات الهمة العالية أم شيماء وفقها الله وكان لها:

يذكرني هذا النقل بكلام أم أنس زوجة الشيخ وصي الله العباس، قالت لي ذات مرة: إن الشيخ-حفظه الله-حتى في نومه تسمعينه، أي: فهمت. اهـ.

إنه في العلم حتى في المنام. انتهى.

(١٥) أقول: رحم الله والدي وأكرمه، وقد رأيت هذه الفائدة أن (إذا للجزم وإن لغير الجزم) في المرجع التالي:

قال الكافيجي في «شرح قواعد الإعراب»(٢٠٣) عن إذا وإن الشرطيتين: (إذا) تدل على اليقين، و(إن) الشرطية تدل على الشك والإبهام.

١٨٣. من فتاوى والدي النسائية

توفي ابن عم والدي رَحِمَهُما الله، وكان فتوى والدي لزوجته: أن تبقى في البيت ولا تخرج.

فاستسلمت، وقالت: سمعًا وطاعة، مع أنها-وقد توفيت رحمها الله-ذاتُ أشغالٍ في مزارعهم، وهذا من محاسِنها تقبُّل فتاوى أهل الذكر، وقد كانت تُجِلُّ والدي وتعطف عليه، وتساند بخدمتِها عند الحاجة، أو كان هناك ضيوف في أول الدعوة واحتيج إلى المساعدة، تساعد في الضيافة، الله يتقبل منها، ويرحمها، ويتجاوز عنها.

١٨٤. من امتحانه رَحِمَهُ الله لذهن الطالب

كان يسأل عن(إلا) الاستثنائية، ثم يسأل عن هذا وأمثاله:

اللّهم إنا نسألك فهمًا وعلمًا نافعًا.

حَدِّث حديثين امرأة إن فهمت وإلا فأربعة. ويقول: ما هي(إلا)؟

فيحسبها الطالب أنها استثنائية، ثم يتبين له أنها في هذا الموضع تختلف؛ إذ أنها مركبة من(إن الشرطية ولا النافية)، وتقديره: وإن لا تفهم..

وكان يفيدنا ويقول عن هذا المثل: مَثَلٌ يُضرب لمن كان رديء الفهم.

١٨٥. عَطْفُ طَرَفِ وَرَقَةِ الكتاب

مرةً عطفتُ شيئًا من طرف ورقة الكتاب نفسه علمًا لشيءٍ محدد.

فأنكر عليَّ وقال: لا يصلح هذا!

١٨٦. الضغط على الكُتُب عند رصِّهَا

سمعته رَحِمَهُ الله يقول: بعض إخوانِنا يظن أن الكتُب كالحطب يلصِق بعضَها ببعض، ومن شدة الازدحام يتأثَّر الكتاب إذا أخذتَه ويتمزَّق.

١٨٧. مِنْ هِمَمِ المحدِّثين

ذكر لنا والدي أن بعض المحدثين رحل في طلب العلم فكانت تأتيه رسائل، وصلت إليه الرسالة الأولى فوضعها في الدرج ثم الثانية والثالثة ولم يفتحها خشية الانشغال، فلما استفاد ونال من العلم فتح الرسائل، فإذا في إحداها: مات أبوك، وفي الأخرى: مات كذا.

فعلق والدي رَحِمَهُ الله وقال: لو فتحها لشُغل عن العلم الذي رحل من أجلِه!

١٨٨. من صبره رَحِمَهُ الله على شظف العيش

هناك قصة لوالدي رَحِمَهُ الله ذكرها: أنه كان في طلبه للعلم إذا زادت كسرة خبز وضعها في الخزانة، فإذا احتاجها أخذها، فإذا طال عليها الوقت يأتي عليها آثار نسج العنكبوت، فيمسحه، ثم يأكل كسرة الخبز. اهـ.

أقول: نستفيد: أن الإقبال على العلم وعدم العناية بأمور المعيشة يُخرج علماء بإذن الله.

١٨٩. حرصُه على صيانة الدعوة

كان والدي الشيخ مقبل رحمه الله يحذِّر أشد الحذر من إهانة العلم والدعوة، ومن كلامه: يجب أن نتقي الله في الدعوة ولا نعرضها للإهانة.

ويقول رَحِمَهُ الله: الذي يُزَمِّر ويُغَنِّي للناس، ويعطونه مالًا، أحسن من الذي يعظ الناس، ويتقرب إليهم بشيء من الدين؛ ليعطوه مالًا.

ويذكر رحمه الله الأبيات التي قالها علي بن عبد العزيز الجرجاني رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وفي آخرها:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا
وَلَكِنْ أَهَانُوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا

وقوله: (لعُظِّما) قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في «شرح حلية طالب العلم» (١٠٥): يعني لكان عند الناس عظيمًا، لكنهم لم يعَظموه في النفوس، بل أهانوه وبذلوه لكل غال ورخيص. اهـ.

١٩٠. من الأشياء التي كان يكرهها رَحِمَهُ الله

ذات مرة كان والدي يتحدث عن مسألةٍ اجتهادية يرى التحريم فيها، فسمعت طالبًا استأذن طالبٌ-أعرف اسمه ونسبتَه-فوقف، وقال: أنت ترجِّح هذا فيلزمك أيضًا أن تقول بتحريم كذا وكذا.

فقال له: اجلس.

ثم بعد أيام عرف أنه أساء وأن الشيخ قد وجد عليه، فدخل بيت والدي، واعتذر له مما حصل منه.

وقد سمعته رحمه الله في بعض مجالسه يقول: الإلزام ليس بلازمٍ في كلام البشر، كيف يُلزم بشيءٍ وهو لا يقرُّ به؟!

١٩١. من المحبرة إلى المقبرة

سمعت والدي رحمه الله يقول:

إن شاء الله نطلب العلم إلى أن نموت.

١٩٢. الحياة فُرص

سمعت والدي ينصح طلبة العلم، ويقول: اجتهدوا قبل أن تأتيكم الصوارف.

١٩٣. أيهما أشق الحفظ أو المراجعة؟

سمعت والدي رَحِمَهُ الله يقول: الحفظ شاق.

وأشق منه المراجعة؛ لأن المراجعة يكون باستمرار.

١٩٤. من ينام بعد صلاة الفجر

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لِأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا» رواه الطبراني في «الأوسط» (٩٩٦).

كان والدي ينصح الذي قد تعود على النوم بعد صلاة الفجر بالنسبة لطلابه أن يخرج إلى الوادي-بجوار

مسجدنا-، فيمشي يومين أو ثلاثة؛ حتى تذهب عنه هذه العادة السيئة.

١٩٥. رفع الحوائج إلى من بيده ملكوت السماوات والأرض

كان والدي رَحِمَهُ الله مرة يحث على الالتجاء إلى الله عَزَّ وَجَل، وقال:

حتى الملح لو احتجته ادعُ الله عز وجل.

١٩٦. من يقرأ القرآن في أقلَّ من ثلاث ليال

سمعت والدي الشيخ مقبل رحمه الله يقول: يُخشى على من قرأ القرآن في أقل من ثلاث ألَّا يفقهه.

وذكر لنا والدي استشكال قراءة بعضهم القرآن كله بين مغرب وعشاء وفي وقت قصير.

قال والدي فأجابه المسؤول: الزمن في وقتهم كالمطَّاط.

١٩٧. اجلس جِلسة المتعلمين

كان هناك طالب في صدر مجلس والدي رَحِمَهُ الله في دروسه العامة، وكان ذلك الطالب يتكلم وكأنه المعلم، فغضب مرةً والدي رحمه الله وكان الدرسُ في «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، وقال له: اجلس جِلسة المتعلمين، وإلا قم هناك، يعني: بعيدًا في آخر الحلقة.

ورأى والدي رَحِمَهُ الله جالسًا في حلقتِه وعنده بعض التكشف، فقال له: يا فلان، اجلس جِلسة طالب علم.

١٩٨. من خشيته لربه

سمعت والدي الشيخ مقبل رَحِمَهُ اللهُ يقول: لست راضيًا عن نفسي، ولا أحب أن ألقى الله وأنا على هذا الحال.

١٩٩. من صبره وثباته

لقد رأيت من حياة والدي الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله عجبًا في الصبر والثبات. فقد يكون مريضًا ولا تنقطع دروسه، ولا بحوثه، ولا خدمته لطلابه من مراجعة البحوث والإعانة لهم. وقد يكون عنده سعال شديد، وجسمه ملتهب بالحمى، ويخرج يلقي دروسه. وفي مرضه الأخير يقول الأطباء كما أخبرني: لو كان هذا المرض في غيرك لكان طريحًا على الفراش.

وكان رحمه الله إذا كان مريضًا يسلِّي على من يعوده، وعلى أقربائه كأنه المعافَى ونحن المرْضَى. وهذا من ثمار العلم النافع، ومن ثمار الصدق والإخلاص.

نحن ربما نُلقى على الفراش بسبب الزُّكام. نسأل الله أن يرحمَنَا.

٢٠٠. عدم تقليد المعلم

من أقوال والدي رحمه الله: العالِمُ بَشَرٌ يُصيبُ ويُخطئ، ويجهلُ ويَعْلَمُ.

وبهذا ينتهي الجزء الرابع.

ويليه إن شاء الله الجزء الخامس، وما توفيقنا إلا بالله.